الحياة المكرَّسة في الألف الثالث

الأب كميلو مكسيسي الكرمليّ*

إنّ الألف الثالث قد حرّك تفكير جمعيّاتنا الرهبانيّة وحياتها، ومن المهمّ أن نتذكّر، على ما أظنّ، أنّ اتّحاد الرؤساء العامّين لم يعتد، في السنة ١٩٩٣، مؤتمر الحياة المكرّسة العالميّ إلّا نظرًا إلى الألف الثالث. ثمّ كان دور السينودس للحياة المكرّسة سنة ١٩٩٤. وأخيرًا، وبفضل مبادرة مزدوجة قام بها اتّحاد الرؤساء العامّين واتّحاد الرئيسات العامّات، تمّ اجتماع شبيبة الرهبان والراهبات، وقد شارك فيه ٨٤٠ راهبًا وراهبة يتمون إلى ٢٣٠ جمعيّة نسائيّة و١٥٠ جمعيّة رجاليّة، أتوا من ٧٠ بلدًا في جميع القارّات. فحلّلوا الأوضاع وقدّموا إلينا، فوق كلّ شيء، نظرة الشبيبة التي لم تبلغ سنّ الثلاثين إلى الحياة الرهبانيّة على عتبة الألف الثالث.

يمكننا أن نؤكّد أنّ وثيقة «الحياة المكرّسة» (Vita consecrata) تدعونا إلى توجيه نظرنا نحو المستقبل، إذ إنّ الرقم ١١٠، الذي يُستشهد به أكثر من غيره، حين يدور الكلام على الوثيقة المذكورة، يقول: «ليس لكم فقط أن تتذكّروا وتروّوا تاريخًا مجيدًا، بل عليكم أن تبنوا تاريخًا عظيمًا. أنظروا إلى المستقبل، حيث يرسلكم الروح القدس ليضع أيضًا معكم أمورًا عظيمة».

(*) رئيس عامّ الرهبان الكرمليّين الحفاة، ورئيس الاتّحاد العالميّ لرؤساء الرهباتيّات العامّين. والنصّ التالي أُلقيَ في أثناء لقاء جمع الأب مكسيسي ورؤساء الرهباتيّات ورئيساتها في لبنان يوم ٢٤ آذار (مارس) ١٩٩٩ على مدرّج المعهد الأنطونيّ، بعبدا.

سننطلق من الوضع الحاليّ بمقدّمة وجيزة، ونظرُنا موجّه إذًا إلى مستقبل الحياة المكرّسة. ثمّ أقسم بياني إلى ثلاث نقاط: وأبتدئ بما يمكننا أن نسمّيه إطار الحياة المكرّسة الاجتماعيّ الكنسيّ في الألف الثالث. وفي قسم ثانٍ، سأعرض في ملخّص كبير ما هي النتائج التي توصّلت إليها شبيبة الرهبان والراهبات. وفيهم نسمع صوت المستقبل، وإن ألحّوا قائلين: «نحن حاضر الحياة المكرّسة، فلا تحدّثونا دائمًا عن المستقبل. نحن شبّان وشابّات، ولكنّنا الحاضر أيضًا، فإنّنا، حين نصل إلى المستقبل، سنكون مثلكم». وأمّا القسم الثالث، الذي قد يكون القسم الرئيسيّ من تفكيرنا، فسيجيب عن هذا السؤال: ما هي تحدّيات الحياة المكرّسة. فتحدّيات الحياة المكرّسة التي يعرضها علينا الألف الثالث، نلمس ما يمكن أو يجب أن تكون الحياة المكرّسة في الألف الثالث، أو أين يجب أن تنقاد هذه الحياة للروح القدس.

مقدّمة

نعيش اليوم زمن طور انتقاليّ في جميع المجالات: في المجتمع وفي الكنيسة، وبالتالي في الحياة المكرّسة أيضًا. ولا يخفى علينا أنّ كلّ زمن انتقاليّ هو حتمًا زمن متأزّم، حتّى بمعنى الكلمة الإيجابيّ. وفي هذا الوضع المتأزّم، الذي هو زمن انتقاليّ، نعيش زمنًا تفيض فيه النعمة، لأنّه يجعلنا نواجه هويّتنا ونعي ما نحن، لتتجدّد وندخل في حوار مع العالم. كما وكتب بولس السادس في رسالة الحوار الشهيرة «كنيسته» (Ecclesiam suam) التي أصدرها سنة ١٩٦٣، وكانت أولى رسائله العامّة: «يجب على الكنيسة أن تعي هويّتها دائمًا لتتجدّد وتدخل في حوار مع العالم».

أوّلًا: الإطار الاجتماعيّ الكنسيّ الذي نعيش فيه

ما الذي يميّز الإطار الاجتماعيّ الكنسيّ الذي نعيش فيه؟ إنّنا نعيش زمنًا انتقاليًّا يسبّب الأزمة.

من وجهة النظر الاجتماعيّة، نواجه ظاهرة الإجمال، ظاهرة العولمة، بسبب وسائل الاتّصال. لهذه الظاهرة وجوه إيجابيّة، إذ إنّها تسهّل اللقاء والإعلام. ومن جهة أخرى، لها تأثير سلبيّ وهو حصر الثروة في أيدي عدد قليل من الأشخاص وحرمان العديد منهم، وبالتالي، لا عدالة متسارعة ومتزايدة في العالم كلّه. ولا نستطيع أن نفكّر في الحياة المكرَّسة في الألف الثالث من دون أن نأخذ بعين الاعتبار تلك العولمة التي أدّت إلى تعزيز الليبراليّة الاقتصاديّة الجديدة، وهي تُنزل الشرور بالملايين من الأشخاص وتهمّش الملايين منهم. وحتّى على صعيد الاقتصاد الجمعيّ، فإنّها تأتي بنتائج سلبيّة، كما لاحظنا في انهيار هونغ كونغ الماليّ الذي أدّى إلى عواقب متعدّدة.

ومن وجهة النظر الاجتماعيّة أيضًا، نشاهد زوال التنازع بين الشرق والغرب، وإلى حدّ ما بين الشمال والجنوب، لأنّ الاحتمالات مع العولمة اختلفت منذ الآن. ففي بلدان الشمال الغنيّ فقر متزايد، إلى جانب أنواع جديدة من الفقر، بحيث تبدو تحدّيات كبيرة في وجه إعلان البشارة، وبالتالي الحياة المكرَّسة.

ومن وجهة النظر الكنسيّ، ثمّة أمرٌ مهمّ جدًّا لإعادة التفكير في ما هي الحياة وما يجب أن تكون الحياة المكرَّسة في الألف الثالث، وهو ظاهرة تغيُّر الوجه في الكنيسة. فإنّ جمعيّات الحياة المكرَّسة في أكثريّتها الساحقة (باستثناء رهبانيّات القرون الأوائل التي أبصرت النور في الشرق) نشأت في أوروبّا الغربيّة، دليلًا على حيويّة الدين المسيحيّ في تلك البلدان، وكان من الطبيعيّ أن تتأثّر ثوابت الحياة المكرَّسة في ذلك الزمن بالعصر الذي شاهد ولادة الحياة المكرَّسة، أي القرون الوسطى والقرن الأخير.

حتّى مطلع هذا القرن، كان وجه الكنيسة وجهًا أوروبيًّا غربيًّا. إذ إنّ ٧٧٪ من المسيحيّين والكاثوليك في العالم كانوا يعيشون في أوروبّا وولايات أميركا المتّحدة، علمًا بأنّها كانت أراضي استيطان أوروبّيّ. ولم

يكن في بقيّة العالم إلّا ٢٣٪ من أعضاء الكنيسة الكاثوليكيّة. أمّا الآن فوجه الكنيسة قد تغيّر: فـ٧٠٪ من المسيحيّين يعيشون في العالم الثالث، و٣٠٪ فقط في أوروبّا الغربيّة بما فيها ولايات أميركا المتّحدة.

يفترض هذا التغيير، من جهة، انفتاحًا على التعدّديّة الثقافيّة. فلا يمكننا، لا على مستوى الكنيسة ولا على مستوى الحياة المكرَّسة، أن نعيش بعد اليوم في التصوّرات الأُحاديّة المركز، بل لا بدّ أن يكون لنا رؤية متعدّدة المراكز في علم اللاهوت، وفي حقل الروحانيّة، وفي ما يختصّ ببنية الحياة المكرَّسة نفسها. وإن لم نأخذ هذا الوضع بعين الاعتبار، فإمّا أن نعود إلى الوقوع في أخطاء الماضي، لكنّنا نقع فيها انطلاقًا من العالم الثالث، وإمّا أن ندّعي عيشَ حياة رهبانيّة تُظهر وحدة على نمط واحد، وهذا أمر لم يعد ممكنًا في زمننا الحاضر.

وعلى مستوى الكنيسة، نحن مدعوّون إلى تعدّديّة، إلى وحدة متعدّدة الأشكال، كما سبق لسينودس الأساقفة الخاصّ «بعد مرور ٢٠ سنة على المجمع الڤاتيكانيّ الثاني» أن عبَّر عن ذلك سنة ١٩٨٥. فلا يمكننا بعد اليوم أن نفكّر بألفاظ نمط واحد، بل بألفاظ متعدّدة الأشكال. وفي النهاية، يجري في الحياة المكرَّسة تمامًا ما يجري في الكنيسة، أي إنّ وجهها يتغيّر. وهذا يعني أنّ أوضاع أزمة الدعوات، التي هي طبيعيّة في أيّام انعطاف نمط حياة أيّ مؤسّسة من المؤسّسات وأيّ وسط من الأوساط، أدّت إلى أنّ أكثريّة أعضاء الحياة المكرَّسة هم أيضًا من أعضاء العالم الثالث. ومن ناحية أخرى، نلاحظ أيضًا أنّ الحياة المكرَّسة هي أقلّيّة في الكنيسة، علمًا بأنّنا ٠,١٢٪، أي جزء صغير جدًّا من الكنيسة الجامعة التي يمثّل فيها العلمانيّون أكثر من ٩٩٪. ولذلك، إن أردنا أن نعيد التفكير في الحياة المكرَّسة، وجبت إعادة التفكير فيها انطلاقًا من إعادة تقدير العلمانيّين وإعادة تقييمهم في الكنيسة.

فلا بدّ لنا أن نأخذ بعين الاعتبار ذلك الإطار وتلك الخلفيّة الاجتماعيّة الكنسيّة والاجتماعيّة الثقافيّة، حين نفكّر في ما قد تكون وإلى

ثانيًا: مؤتمر الشبيبة

القسم الثاني هو مؤتمر الشبيبة. لماذا نوليه هذه الأهمّيّة؟ لأنّنا، كما قال أحدنا، نعود مع الشبيبة إلى جِدَّة موهبة التأسيس. إنّ حميّة الشبيبة تُرغمنا على عدم نسيان حميّة البدايات. فشبيبة اليوم لهم ما يشغل أفكارهم ويُثير قلقهم، فهم أبناء زمنهم، يعيشون في عصر انتقاليّ ومليء بالتردّدات، في عالم تغييرات متسرّعة وعميقة، سبق لها أن ظهرت في المجمع الڤاتيكانيّ الثاني. ولذلك، لا يمكننا أن نتصوَّر حياة مكرَّسة للمستقبل، إن لم ندخل في حوار معهم، في حوار يساعدنا أيضًا على الشعور بعبور الروح القدس في تاريخنا. فبفضل أنوارهم وبالرغم من ظلالهم وحدودهم، عندهم رسالة ينقلونها إلينا.

كيف ظهرت فكرة مؤتمر شبيبة الرهبان والراهبات؟ في ١٩٩٣، وهي السنة التي عقدنا فيها مؤتمر الحياة المكرّسة العالميّ، الذي نظّمه اتّحاد الرؤساء العامّين، كان هناك رهبان شبّان جاءوا ليساعدونا في أمور المؤتمر المادّيّة، فقام أحدهم في نهاية المؤتمر واستأذن عفويًّا في الكلام وصعد المنصّة وقال لنا ما يلي: «أنا مسرور بالمؤتمر الذي عُقد، لكنّي حريص على أن أقول لكم إنّي لم أفهم إلّا القليل من اللغة التي تتكلّمون بها (مع أنّه كان راهبًا شابًّا أوشك أن يرتسم كاهنًا). كثيرًا ما تذكرون المجمع، لكنّي لم أكن من هذا العالم حين عُقد المجمع. فهو، عندي، لا يعني شيئًا. وفوق كلّ ذلك، فإنّ اللغة التي تتكلّمون بها هي لغة لا تفهمها شبيبة اليوم».

هذه الكلمات أثارت شيئًا من القلق في اتّحاد الرؤساء العامّين، وبعد ذلك بسنة، نظّمنا موضوعًا لأحد مجالسنا (نعقد مرّتين في السنة مجلسًا يستغرق ثلاثة أيّام كاملة للتفكير في أحد الموضوعات) «الشبيبة تنادي الحياة المكرَّسة». ودعونا إلى مجلسنا عددًا من شبيبة الرهبان

والراهبات ليعرضوا لنا وجهة نظرهم، وقلقهم على مختلف وجوه الحياة المكرّسة، كالهويّة والروحانيّة والتكريس والمشاركة والرسالة. بصفتنا رؤساء عامّين، استخلصنا بعض النتائج ونشرناها في كرّاس كان لنا أداة تفكير في داخل جمعيّاتنا الرهبانيّة.

كما لاحظنا أنّه لا يكفي أنّنا دعونا مجموعة صغيرة، وأنّه لا بدّ من الإصغاء إلى شبيبة الرهبان والراهبات على المستوى العالميّ. وقرّرنا أن نطلب إلى الشبيبة أن تعلّمنا طرق مشاركة جديدة تساعدنا على أن نكون شهودًا لحرّيّة مسيحيّة أصيلة ولخدمة الفقراء ومحبّتهم، وأن تساعدنا بوجه خاصّ على تعريض أنفسنا لخطر الجِدّة. وهذه الكلمات نفسها، قام رئيسا اتّحادَي الرؤساء العامّين والرئيسات العامّات بتكرارها على الشبّان، حين صافحاهم في بدء العمل.

أريد أن أقول لكم إنّ العمل كان كثيرًا، وتقدّم بسرعة بفضل التعاون على مستوى الجمعيّات الرهبانيّة، ولا سيّما التي كانت موهبتها اللدنيّة موجّهة بالأحرى إلى الشبيبة. وبفضلها، استطعنا أن ننظّم العمل بعقليّة جديدة وبنى جديدة. ولولاها، لعرّضنا أنفسنا لخطر تكرار نمط المؤتمر الذي سبق لنا أن عقدناه، ولكن مع الشبيبة في هذه المرّة.

كما ذكرتُ أعلاه، شارك في المؤتمر ٨٤٠ عضوًا من شبيبة الرهبان والراهبات، ينتمون إلى ٢٣٠ جمعيّة نسائيّة و١٥٠ جمعيّة رجّاليّة، أتوا من جميع القارّات. عُقد في رومة من ٢٩ أيلول (سبتمبر) إلى ٤ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٩٧. وفي ٣٠ أيلول، احتفلنا بعيد كبير وقابلنا قداسة البابا.

المهمّ في ما يختصّ بهذا المؤتمر وما أرغب في التشديد عليه، هو النداءات التي وصلتنا من الشبيبة. أراد المؤتمر أن يؤلّف نداءً واحدًا، ولكنّنا، بسبب تقصير في المنهجيّة، أردنا أن نتوصّل إلى أن يأتي كلّ شيء من القاعدة، لكنّ المؤتمر لم يحصل على الوقت المادّيّ لإعداد نداء مشترك بين الـ ٨٤٠ مشتركًا، يراعي جميع العقليّات وجميع النزعات. وفي النهاية، ونظرًا إلى أنّ الشبّان كانوا منقسمين إلى مجموعات لغويّة،

طُلب إليهم أن يتجمّعوا في مجموعات عمل. فكانت هناك خمس مجموعات عمل كبيرة، أي مجموعة لكلّ من اللغات المتداولة في المؤتمر، لكن كلّ مجموعة عمل كانت تضمّ ١٠ أو ١٥ فرقة. وكانت دينامية المؤتمر أن يُكتفى بمحاضرة واحدة كلّ يوم، تنسجم مع أسلوب الشبيبة وتُدعَم بالوسائل السمعيّة البصريّة. وبعد المحاضرة، كان الجميع يصغون إلى ردود الفعل استنادًا إلى خبرتهم في الموضوع، من قِبَل خمسة رهبان وراهبات من قارّات مختلفة. وبعد الظهر، كان الوقت كلّه مخصّصًا لعمل الفرق ومجموعات العمل. وفي النهاية، كانت بين أيدينا خمسة نداءات، نداء من كلّ مجموعة عمل. قمت بتحليل النداءات وأعرض هنا الخطوط العريضة التي قدّمتها الشبيبة حول الحياة المكرّسة.

إليكم الخطوط العريضة الستّة التي تشغل بال الشبيبة:

١ - على راهب (راهبة) الألف الثالث أن يكون شخصًا يبني هويّته على اختياره شخص يسوع المسيح، على اختيار يستهويه، ويحمله على السير في خطاه وعلى التحوّل الباطنيّ الدائم. هذا هو الخطّ العريض الأوّل الذي يظهر في النداءات. إنّه التطابق بين المسيح ودعوتنا وموهبتنا اللدنيّة. من دون هذا التطابق، لا معنى للحياة المكرّسة. هذا ما ردّده جميع الحاضرين.

٢ - على حياتنا المكرّسة أن تغذّيها روحانيّة، أي روحانيّة تشكّل عنصر الحياة المكرّسة الموحِّد، روحانيّة متجسّدة في الواقع ومتفتّحة، وتكون حياة في الروح القدس، وتتناول كلّ شيء بما فيه العمل، روحانيّة مغذّية أو مغذّاة بالكلمة والإفخارستيّا والصلاة. وكانوا يشدّدون على وجه الروحانيّة القائل بأنّه من واجب كلّ جمعيّة رهبانيّة أن تبقى متّحدة بجذورها، ومن هنا تصدر الفوارق الخاصّة بكلّ روحانيّة وكلّ موهبة لدنيّة. ويجب أن تكون الروحانيّة على صلة بالواقع، ومنفتحة على التحوّل الباطنيّ، مع مطلب الجذريّة. هذا هو الخطّ العريض الثاني الذي يُستخلَص ممّا يشغل بال الشبيبة.

٣ - إنّ الحياة المكرّسة في الألف الثالث يكون لها معنى، إن التزمت خدمة نبويّة. وعلامَ تقوم هذه الخدمة النبويّة؟ على إعلان مشروع الله نحو البشريّة، أي أن نعيش كأبناء الله مسؤولين، وأن نعيش الأخوّة في وسط الصعوبات والتنازعات، وأن نلتزم بناء عالم عدالة وسلام. فيجب أن تنطلق تلك الخدمة النبويّة من خيار الفقراء التفضيليّ، ولهذه الغاية، فلا بدّ أن يشكّل الأشخاص المحرومون، بين الحالات الرّعويّة الملحّة التي تواجهها الحياة المكرّسة في الألف الثالث، مستفيدي إعلان البشرى المنفّلين. ولقد طال الحديث أيضًا عن أهمّيّة الاهتمام بالأسرة، لأنّها تمرّ بأزمة شديدة.

٤ - الانثقاف: لا نستطيع أن نعيش موهبتنا اللدنيّة، إن لم ننثقف.

٥ - ثمرة الانثقاف: الوحدة في ثروات التعدّديّة.

٦ - الإبداع: لا بدّ من القدرة على الإبداع ليمكننا أن نجسّد في قوالب جديدة ما في الحياة المكرّسة عامّةً وكلّ جمعيّة رهبانيّة خاصّةً من قيَم أساسيّة.

سبق لنا أن رأينا النقطتَين الأُولَيَين: أي الإطار الاجتماعيّ الكنسيّ بخلفيّة، وما هي التحدّيات التي تواجهها حساسيّة الشبيبة، التي يكلّمنا الروح القدس عَبرَها أيضًا ويقدّمها إلينا من أجل حياة مكرّسة في الألف الثالث.

والآن، سنحلّل ما عسى أن تكون التحدّيات التي تبرز، ليس انطلاقًا من نظرة الشبيبة وحسب، بل - إذا صحّ لي القول - انطلاقًا من كلّ التفكير وكلّ البحث اللذين عاشتهما الحياة المكرّسة منذ انعقاد المجمع: أكثر من ثلاثين سنة سير يجب أن يؤدّي إلى تقييم وإعادة توجيه. وسنرى إلى أيّ حدّ يتطابق العديد من هذه العناصر مع ما كانت الشبيبة تعرضه.

ثالثًا: التحدّيات التي تواجهها الحياة المكرَّسة على عتبة الألف الثالث

١ - أن نعيش حياتنا المكرَّسة وأن نُعيد النظر فيها انطلاقًا من مختلف وجهات نظر ما تعني هذه الموهبة اللدنيّة في الكنيسة: أوضّح فكرتي. يمكن النظر إلى الحياة المكرَّسة من عدّة نوافذ: فمن هذه النافذة، تلمح الحديقة ونستطيع أن نراها من وجهة نظر معيَّنة، ومن النافذة الأخرى تلك، تكون الحديقة هي هي، لكنّ النظر يتغيّر. وما يظهر من خلال هذه النافذة ليس هو ما يظهر من النافذة الأخرى تلك. وهناك نوافذ لا تمكّنك من رؤية بعض وجوه الحديقة، لأنّها تُرى من نافذة أخرى. ما عسى أن تكون وجهات النظر هذه؟ شدَّد السينودس في كلامه على الحياة المكرَّسة على أنّنا، حين نُفكّر (لا بدّ للتفكير أن ينطلق من الحياة وأن يوصِل إليها)، لا يجوز أن ننسى وجهات نظر الحياة المكرَّسة: فهناك الأنتروبولوجيّة والمسيحانيّة وعلم الروح وعلم الكنيسة والأخيريّة.

+ وجهة نظر الأنتروبولوجيّة: إنَّ الحياة المكرَّسة لها أيضًا وظيفة اجتماعيّة. في الدين المسيحيّ، تنشأ الحياة المكرّسة حتمًا من اختيارنا المسيح، لكنّها تلبّي أيضًا بعض تطلّعات اللاوعي البشريّ، لاوعي المجتمع: فهناك الرغبة في عيش حياة بسيطة وخدمة نزيهة. وهذه الرغبات اللاواعية، تأخذها الحياة الرهبانيّة بعين الاعتبار باستقبالها مجموعة أشخاص تذهب إلى هامش المجتمع، إلى حدود المجتمع، للفت النظر إلى المجموعة البشريّة وتطلّعاتها اللاواعية والتذكير بها وتعزيزها.

+ وجهة نظر المسيحانيّة: إنّ الحياة المكرَّسة هي طريقة في اتّباع يسوع، حيث ليست النذور والحياة الجماعيّة إلّا طريقة في عيش ما يقتضيه كلّ سير في خطى يسوع. فالأسرة تصبح نسبيّة عن طريق نذر العفّة والحياة الأخويّة التي تخلق أسرة جديدة مجتمعة باسم الربّ. والأموال تصبح نسبيّة عن طريق نذر الفقر. أمّا نذر الطاعة فإنّه يوصل إلى الصليب، وهو

قد يعني أن يقوم الراهب برسالته التي يكتشفها مع الجماعة ومع الرئيس. فتكون وجهة نظر المسيحانيّة الحياة المكرَّسة كطريقة في تحقيق المطالب الأساسيّة الثلاثة التي يقتضيها السير في خطى يسوع، وكأسلوب في اتّباع يسوع.

+ وجهة نظر علم الروح: إنّها الحياة المكرّسة كموهبة لدنيّة، كعطيّة الروح القدس في سبيل الخدمة. وهنا تندرج مباشرةً.

+ وجهة نظر علم الكنيسة: إنّها خدمة الكنيسة، بالمشاركة مع الكنيسة، في كنيسة مشاركة.

+ وجهة نظر الأخيريّة: إنّها تلفت الانتباه إلى القِيَم الأساسيّة والنهائيّة، وهي تسبق بعض القِيَم التي تجسّد تطلّعات الحياة المسيحيّة.

٢ - الأمانة الإبداعيّة: في أيّامنا، أصبحت الأمانة الإبداعيّة أمرًا مقبولًا. ولقد وجب عليَّ أن أعيش شخصيًّا تنازعات كثيرة في سبيل الأمانة الإبداعيّة.

أمّا الآن وقد تكلّم البابا على الأمانة الإبداعيّة، فإنّي أرى نفسي في المعتقَد الصحيح تمامًا. ففي وثيقة «الحياة المكرَّسة»، يخصّص البابا الرقم ٣٧ للأمانة الإبداعيّة. حصلنا على الموهبة اللدنيّة الخاصّة بجمعيّة رهبانيّة، على روحانيّة جمعيّة رهبانيّة، قد تكون كالماء في إناء. حصلنا عليها في إناء، في إطار اجتماعيّ ثقافيّ وكنسيّ خاصّ بالعصر الذي شاهد نشأة الجمعيّة الرهبانيّة. فالمُهِمّ والضروريّ في أيّامنا لنعيش الأمانة الإبداعيّة، هو المحافظة على الماء، على السائل، شرط أن نفرّغه في آنية مختلفة تختلف باختلاف ثقافات شتّى وعصور شتّى. وبّ قائل يضيف: «أجل، ولكن حين ننقل السائل من إناء إلى إناء آخر، نفقد كمّيّة كبيرة منه». أمّا أنا فأجيب: «لذلك، نستخدم أقماعًا». فالقُمع هو الفطنة والتمييز، ولكن يجب مواصلة نقل السائل من إناء إلى إناء آخر، لكي يصبح في وعاء آخر ويتّخذ شكل الوعاء الآخر هذا، الذي هو الثقافة والوضع الراهن وتحدّيات الكنيسة والمجتمع وكلٌّ من العصور.

٣ - الأخوّة: في عالم منقسم، الأخوّة المرتبطة بالروح النبويّ. إنّ وثيقة «الحياة المكرَّسة» تُحسن التشديد على ما كان توجيهًا أساسيًّا في تفكير المكرَّسين وحياتهم انطلاقًا من المجمع الفاتيكانيّ الثاني. فقد لُفت الانتباه إلى وجه الأخوّة والجماعة في لاهوت الحياة المكرَّسة. إنّ المقصود هو الحياة الأخويّة في الجماعة، لا الحياة الجماعيّة. أكرّر أنّ المقصود هو الحياة الأخويّة في الجماعة، كما تشدّد عليه وثيقة «الحياة الأخويّة في الجماعة» التي أصدرها، في ٢ شباط (فبراير) ١٩٩٤، المجمع لجمعيّات الحياة المكرَّسة ولجمعيّات الحياة الرسوليّة، وهي وثيقة أحرزت انتشارًا واسعًا. ووثيقة «الحياة المكرَّسة»، في الرقم ٥١، تكلّف الجماعات بوجه خاصّ أن تثير روحانيّة المشاركة، وأن تكون دليلًا على أنّ الحوار هو ممكن دائمًا، وأنّ المشاركة قادرة على التوفيق بين التنوّعات. والوثيقة نفسها تشدّد على أنّه يعود خاصّةً إلى الجمعيّات الرهبانيّة الدوليّة، في هذا الزمن الذي يمتاز ببعد المشاكل العالميّ، أن تحافظ على حيويّة حسّ المشاركة بين الشعوب والأجناس والثقافات، وعلى الشهادة له.

بموضوع الأخوّة هذا يرتبط موضوع الروح النبويّ. ففي وثيقة «الحياة المكرَّسة»، يكرَّر ما قيل في السينودس عن الروح النبويّ، ولكن بشكل مخفَّف إلى حدّ بعيد. ومع ذلك، فالمهمّ أنّه كُرّر في الرقمين ٨٤ و٨٥. فلقد ورد في الرقم ٨٤: «أمّا ما للحياة المكرَّسة من طابع نبويّ فقد أبرزه آباء السينودس بقوّة. وهو يظهر بمظهر صيغة خاصّة من المشاركة في وظيفة المسيح النبويّة، التي أشرك فيها الروحُ القدس شعبَ الله كلّه».

لا نحتكر الروح النبويّ، فإنّه من نصيب شعب الله كلّه. ومع ذلك، فإنّ نمط الحياة المكرَّسة والتزاماتها تؤدّي حتمًا إلى التشديد على بعدها النبويّ. ففي الرقم ٦٤ من «أداة عمل» السينودس، إبراز مسألة الروح النبويّ في الحياة المكرَّسة. وعنوان الفقرة ٦٤ هذه هو «العلامة النبويّة والسامية». وقد ورد فيها ما يلي: «إنّ رسالة الحياة المكرَّسة تنقل دورها النبويّ الخاصّ

في حضن شعب الله النبويّ. فالتكريس نفسه هو، قبل كلّ شيء، نبويّ بصفته مشاهدًا للقِيَم الإنجيليّة التي كثيرًا ما تسير في عكس التيّار، ولا سيّما في المجتمعات المتأثّرة بالعلمنة. إنّ مثل هذه القِيَم هو رفض نبويّ للأصنام التي يميل العالم دائمًا إلى عبادتها. والحياة المكرَّسة هي أيضًا علامة نبويّة، حين تُحضر أوّليّة محبّة الله وتجسّدها، وتشهد لها بفضل الموهبة اللدنيّة الخاصّة بكلّ جمعيّة رهبانيّة، والتي تُعاش بحسب قلب المؤسّسين الشفوق وروحهم الرحيم، من أجل خدمة الفقراء والمبتلين، وضحايا العنف واللاعدالة، والفقراء الجُدَد الذين ينظرون بحزن إلى مشهد المجتمع، أو إلى الشعور بالحقوق البشريّة والقضايا العادلة، الخاصّة بترقية الإنسان. وفي السينودس، يُنتظر زخم نبويّ لصالح مخطّط الله ومستقبل الإنسان، لكي تكون الحياة المكرَّسة أشدّ اهتمامًا بالرجاء».

٤ - **أن تبقى الحياة المكرَّسة علامة وأداة لمحبّة الله أفقر الناس والمهمَّشين**: ولذلك، يدور الكلام خاصّةً، في الرقمَين ٧٨ و٨٢ من وثيقة «الحياة المكرّسة»، على خدمة جميع الناس، ولكن ابتداءً بأفقرهم وبخيار تفضيليّ للفقراء. عنوان الرقم ٧٨ هو «حاضرون في كلّ مكان من الأرض»، وعنوان الفقرة ٨٢ هو «تفضيل الفقراء وتعزيز العدالة». في «أداة العمل» التي استشهدت ببعض الجمل وبعض العبارات الصادرة عن أميركا اللاتينيّة، مع أنّها لم تُقبل بحرفيّتها في وثيقة «الحياة المكرّسة»، بل أُدرجت بجوهرها، ورد في الرقم ١٠ ما يلي: «كثيرًا ما يعيش الرهبان والراهبات في الصحراء حيث لا نجد شيئًا، وفي الضواحي حيث يمارَس الفقر وحيث يشاركون الناس في ضروريّات الحياة، وعلى حدود الأوضاع الشاقّة حيث يعرّضون أنفسهم لخطر إعلان البشارة».

في الألف الثالث، يجب أن يكون مكانُنا، كما كان لمؤسّسي جمعيّاتنا الرهبانيّة، الصحراء والضواحي والحدود، لا بمعنى الأماكن الماديّة، بل بمعنى الأوضاع القصوى. وانطلاقًا من خيار تفضيليّ للفقراء، علينا أن نذهب إلى أوضاع الصحراء والضواحي والحدود: إلى

الصحراء حيث لا نجد شيئًا وإلى حيث لا يريد الناس أن يذهبوا، بسبب العزلة؛ وإلى الضواحي حيث يمارَس الفقر والضعف وحيث تُناسَم ضروريّات السكّان؛ وأخيرًا إلى الحدود التي هي الطرق الجديدة حيث يتعرّض الإنسان للأخطار.

٥ - الانثقاف: إنّ الانثقاف هو تحدّي الحياة المكرّسة الكبير، علمًا بأنّ هذه الحياة لها وجه دوليّ، حيث دعا الله أناسًا من كلّ عِرق، وكلّ ثقافة، وكلّ شعب، وكلّ أمّة، ليعيشوا ويجسّدوا الموهبة اللدنيّة الخاصّة بجمعيّة رهبانيّة، وبالحياة الرهبانيّة خاصّةً في مختلف الإطارات الاجتماعيّة الثقافيّة والكنسيّة. ما ورد في «أداة العمل» هو أفضل، مع أنّ الرقم ٨٠ من وثيقة «الحياة المكرّسة» يتحدّث عن انثقاف الحياة الرهبانيّة. ذلك بأنّ «أداة العمل» تضمّ فقرتين تساعداننا على تقييم الأوضاع وعلى رسم الآفاق. فقد ورد في الرقم ٩٣ ما يلي: «إنّ الانثقاف - لا يدور الكلام على انثقاف البشارة وحسب، بل على انثقاف الحياة المكرّسة - يتناول كلّ الحياة المكرّسة، والموهبة اللدنيّة التي تمتاز بها الدعوة، ونمط الحياة، وطرق التكوين، وصيغ العمل الرسوليّ، والصلاة، والليتورجية، ومبادئ الحياة الروحيّة، وتنظيم الإدارة الجماعيّ. لا يُراد بالانثقاف ضبط العادات وحسب، بل تحويل العقليّة وطرق الحياة في العمق. ولا يشمل ثقافات الكنائس الفتيّة وحسب، بل يمتدّ أيضًا إلى التغيّرات التي تطرأ على الثقافات الغربيّة. إنّ بِنى الحياة المكرّسة، التي وُضعت في مجتمعات العصر الوسيط الريفيّة، أو في عالم الثورة الصناعيّة التي ظهرت في القرون الأخيرة، لا تبدو دائمًا صالحة لتلبية حاجات نساء ورجال اليوم ورغباتهم».

وحتّى في البلدان التي شاهدت نشأة الحياة المكرّسة، يجب حثّ هذه الحياة على تجديد انثقافها، لأنّ الثقافة هي دينامية وفي تطوّر، واليوم نشاهد تغيُّرًا ثقافيًا.

٦ - إشراك العلمانيّين: أي إنّه يجب علينا أن نعيش الحياة المكرّسة، لا

بمجرّد البحث عن تعاون العلمانيّين، بل أن يشارك العلمانيّون في المسؤوليّة، عن طريق حياتهم اليوميّة، في روحانيّة إحدى الجمعيّات الرهبانيّة وفي موهبتها اللدنيّة. لا نزال في أوّل الطريق، وهو طويل جدًّا. لكنّنا نجد في الأرقام ٥٤ و٥٥ و٥٦ من «الحياة المكرَّسة» توجيهًا واضحًا. هذا وأنّ مشاركة العلمانيّين في المسؤوليّة ستساعد الموهبة اللدنيّة على كشف جميع كنوزها، لأنّها تتجسّد في إناء حياة علمانيّة كما تتجسّد في إناء حياة مكرَّسة. فيكون ممكنًا أن يُعبَّر عنها مرّة أخرى بأسلوب علمانيّ، تفهمه حياة رجال ونساء زمننا اليوميّة. وتساعدنا على تحديد هويّتنا الخاصّة، ولا نستطيع أن ندرك وجهنا الخاصّ، ما لم ننظر إلى وجوه الآخرين ونجدهم مختلفين. إنّ الطريق طويل، وهو يقتضي إعدادًا وتعاونًا وحوارًا، للوصول إلى مشاركة في المسؤوليّة يُعبَّر عنها، لا في العمل الرسوليّ وحسب، بل في تبليغ الموهبة اللدنيّة والروحانيّة الخاصّة بالجمعيّة الرهبانيّة.

٧ - **المجالات الجديدة للمرأة المكرَّسة:** إنّ السينودس، ثمّ وثيقة «الحياة المكرَّسة»، في الرقمَين ٥٧ و٥٨ خاصّةً، يتحدّثان طويلًا عن جميع هذه المتطلّبات. إنّه أمر مقبول، أقلّه على الصعيد النظريّ. ففي الرقم ٥٧، يقال إنّ معلومات مفيدة قد ظهرت لصالح حياة الكنيسة ورسالتها التبشيريّة، بفضل إسهام النساء اللواتي اشتركن في أعمال السينودس: «لا شكّ في أنّه لا يمكن إنكار مشروعيّة العديد من المطالبات المتعلّقة بوضع المرأة في مختلف الأوساط الاجتماعيّة والكنسيّة. ويحسن بنا أن نلاحظ أنّ الشعور الجديد الذي تكوّنه النساء عن أنفسهنّ يساعد الرجال على إعادة النظر في بناهم العقليّة، وطريقتهم في إدراك أنفسهم، وفي تحديد وضعهم في التاريخ وفي تفسيره، وطريقتهم في تنظيم الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والدينيّة والكنسيّة».

وفي الرقم ٥٨، يدور الكلام على آفاق جديدة لحضور المرأة

وعملها في الكنيسة، في الحفل اللاهوتيّ، وفي أماكن القرار، إلخ. من القول إلى العمل الطريق طويل، ولكن لم يعد الكلام على هذا الموضوع أمرًا محرّمًا، ويستطيع كلّ إنسان أن يستشهد بالوثائق.

٨ - أخيرًا، وهنا سأتوسّع في الموضوع أكثر ممّا فعلت في النقاط السابقة: إنّ التحدّي الكبير هو تحدّي الروحانيّة، شرط أن نفهم هذه الروحانيّة، لا كنزعة روحيّة، بل كقوّة توحّد الحياة المكرّسة. لم نُفْهم مشكلة الروحانيّة كثيرًا في عمقها بصفتها مطلبًا من مطالب الحياة المكرّسة، وذلك بسبب سوء تفاهم أو بسبب الحطّ من قيمة كلمة «روحانيّة». والاجتماع الذي عقدناه، نحن الرؤساء العامّون، في أيّار (مايو) ١٩٩٧، كرّسناه تمامًا لموضوع الروحانيّة كقوّة توحّد الحياة المكرّسة. فأصدرنا في هذا الموضوع منشورًا في مختلف اللغات، يحتوي على المحاضرات التي ألقاها علينا أهل الاختصاص، والنتائج التي وصلنا إليها في موضوع الروحانيّة. تعلمون أنّ وثيقة «الحياة المكرّسة» تتحدّث عن الروحانيّة في الأرقام ٩٣ و٩٤ و٩٥ وعن النقاط الثلاث التي تكوّن الروحانيّة: «التزام ثابت بالحياة الروحيّة» و«الاستماع إلى كلمة الله» و«في الاتّحاد بالمسيح». ومع ذلك، فإنّ لغة تلك الأرقام ليست هي لغة تبعل الانقسام الثنائيّ، بل تبدو ثنائيّة أحيانًا: فهناك انفصال المشاهدة بصفتها شرطًا مُسبقًا للعمل الرسوليّ، وللروحانيّة. أمّا نحن فنعتقد أنّ الروحانيّة هي نمط حياة، وطريقة في عيش الحياة المسيحيّة، وحياة في المسيح وفي الروح القدس، تُستقبَل بالإيمان، ويُعبَّر عنها في المحبّة، وتُعاش في الرجاء. ونعتقد أيضًا أنّ العمل هو جزء من الروحانيّة. إذ إنّ كبار المتصوّفين يتحدّثون عن اتّحاد مرتا بمريم: لا بدّ أن يكون العمل والمشاهدة متّحدَين دائمًا، ولا يمكننا أن نفصل الواحد عن الآخر.

رابعًا: ما هو نموذج الروحانيّة الذي تقتضيه الحياة المكرّسة في الألف الثالث؟

أظنّ أنّي تحدّثتُ أعلاه عن ميزاتها التالية: أن تكون متجسّدة

ومثقفة، وتذهب إلى ينابيع كلّ حياة روحيّة، أعني كلمة الله والإفخارستيّا والصلاة. وفي هذا الخطّ، كنتُ أفكّر قليلًا، قبل بضعة أشهر، في ما قد يساعدنا على توضيح الأوضاع الحاليّة التي هي زمن انتقال. وحين كنتُ أطالع كتابًا من الكتب، خطر ببالي أنّه يجب عليّ أن أبحث عن مقتطف من الإنجيل قد يناسب إلى حدّ ما الظروف التي نعيشها اليوم، وخطوط تلك الروحانيّة العريضة. فراجعتُ، إلى حدّ ما، جميع الموضوعات الكتابيّة التي كتبتُ عنها، فاكتشفتُ أنّ إنجيل لوقا يلبّي حاجات المسيحيّين الذين يعيشون أوضاعًا تشبه الأوضاع التي نعيشها في الحياة المكرَّسة. ذلك بأنّ لوقا كتب إلى كنيسة تتّجه إلى نهاية القرن الأوّل، وكان المسيحيّون أيضًا على عتبة القرن الثاني، كما نحن على عتبة الألف الثالث. وماذا كانت تعيش تلك الكنيسة؟ ماذا يظهر في خلفيّة إنجيل لوقا؟ كانت كنيسة تمرّ بصعوبات، وبتراخٍ أمام بطء مجيء يسوع الثاني. كانوا قبل ذلك متحمّسين، لأنّهم كانوا يتوقّعون أن يأتي الربّ يسوع من يوم إلى يوم آخر. لكنّ الوقت كان يمضي، والمسيح لا يعود، على غرار القدّيس بولس الذي كان يأمل أن يبقى على قيد الحياة عند المجيء الثاني: «ثمّ إنّنا نحن الأحياء الباقين...» إلخ. لكنّهم لاحظوا أنّ الربّ لا يعود، فضعف تحمّسهم وبرزت تقاعسهم. فكتب لوقا إنجيله ليساند تلك الجماعة ويساعدها على اكتشاف هويّتها وأصالتها:

١ - يدعو لوقا تلك الكنيسة التي ضعف إيمانها أمام بطء مجيء المسيح الثاني، وفقدت تحمّسها وبردت همّتها أيضًا بسبب الصعوبات، كما تبرد همّتنا نحن أيضًا مرارًا كثيرة: فهناك نقص في عدد الدعوات، وأزمة، وازدياد في معدَّل الأعمار، وصعوبات إلخ. ماذا يترك لوقا لتلك الكنيسة؟ يروي لها أمثالًا: مَثَل التينة التي لا تُثمر، ومَثَل الدرهم الضائع، ومَثَل الخروف الضالّ، ومَثَل الابن الضالّ. ولماذا؟ ليدعو الجماعة إلى التوبة والعودة. فيشدّد على أنّ الذي يبحث هو الله. ففي الأمثال، نرى أنّ الله هو الراعي الذي يذهب إلى البحث عن الخروف، وهو المرأة التي تكنس المنزل لتجد الدرهم الضائع، وهو الذي يصبر أمام التينة التي لا

تُثمر ويقول: «دَعْها هذه السنة أيضًا... فلربّما تُثمر في العام المقبل وإلّا فتقطعها». وهناك أخيرًا مثل الابن الضالّ. ففي أعمال الرسل، حين ألقى بطرس خطبة يوم العنصرة، يضع لوقا على لسان السامعين: «ماذا نعمل؟»، فيجيب بطرس: «توبوا وآمنوا بالإنجيل». ولوقا أيضًا يشير إلى أنّ مصدر التوبة هو نظر يسوع: فإنّ يسوع ينظر إلى بطرس، بعد إنكاره ثلاث مرّات، فيبكي بطرس بكاءً مرًّا. نكتشف أنفسنا خاطئين، ذا إيمان ضعيف. وورد في إنجيل لوقا أيضًا على لسان يسوع: «حين يأتي ابن الإنسان، هل يجد الإيمان؟». كثيرًا ما لا نحسب حسابًا لما تقتضيه دعوتنا. أمّا لوقا فإنّه يتحدّث عن الدعوة المسيحيّة، ويعرض مَثَلَ الذي يُقدم على بناء برج، فإنّ من واجبه أن يحذّر من البنّاء في منتصف الطريق. أو يعرض مَثَلَ الذي يسير إلى محاربة ملك آخر، فإنّ من واجبه أن يجلس فيفكّر ليرى: «هل يستطيع أن يلقى بعشرة آلاف مَن يزحف إليه بعشرين ألفًا؟ وإلّا يُرسل وفدًا ويطلب الصلح.

٢ - لوقا يشدّد بقوّة على التجرّد الإنجيليّ من الأموال وعلى إعادة اكتشاف الأخوّة المسيحيّة: يدور الكلام على كنيسة متروكة في التاريخ، على تلك الجماعة التي كانت تشعر بأنّها متروكة في التاريخ، والتي لم يكن من واجبها أن تتجرّد من الأموال. كان سهلًا عليها أن تتجرّد حين كان مجيء الربّ وشيكًا، لكنّه تأخّر، فما العمل غدًا؟ يشدّد لوقا على أنّ الإنجيل يجب أن يكون إنجيل الفقراء، وعلى أنّ مساعدتهم هي عمل محبّة.

٣ - إنّ الوجه الثالث الذي يمتاز به إنجيل لوقا هو الإصغاء إلى الكلمة: لكي يستطيع الإنسان أن يبشّر، يجب عليه أوّلًا أن يصغي إلى الكلمة. من الغريب أنّنا نرى، في سفر أعمال الرسل، تشديدًا على إعلان الكلمة، في حين نرى في إنجيل لوقا إصغاء إلى الكلمة. للقيام بالخدمة التي ترمز إليها مرتا، يجب الإصغاء إلى الكلمة على مثال مريم. لا لأنّ هناك العمل والمشاهدة، إذ إنّه لا يُطلب إلينا أن نفصل الواحد عن الآخر. كانت القدّيسة تريزا تقول: «يجب على

مرتا ومريم أن تذهبا معًا». فكانت تقول للراهبات: «قد تقولنّ: مريم اختارت النصيب الأفضل. نعم، ولكنّها، قبل أن تكون مريم، كانت مرتا»، لأنّها غسلت قدمَي يسوع إلخ. وأظنّ أنّنا هنا أمام أمر مهمّ جدًّا، وهو واجب الإصغاء إلى الكلمة. فإنّ مريم العذراء تظهر في إنجيل لوقا بمظهر التي تطوّب لأنّها أصغت إلى الكلمة ومارستها (راجع ١١/٢٨). والإصغاء إلى الكلمة يمهّد الإعلان: ففي حادثة عمّاوس، أصغى التلميذان إلى الكلمة، قبل إعلان بشرى قيامة المسيح. ولذلك اكتشفا يسوع وقالا: «أما كان قلبنا متّقدًا في صدرنا، حين كان يحدّثنا في الطريق ويشرح لنا الكتب؟»، وانطلقا من ساعتهما بلا خوف ليُعلنا البشرى.

٤ - العيش في الطريق: في مؤلّفَي لوقا اللذَين هما سفر أعمال الرسل والإنجيل، نجد موضوع الطريق. إذ إنّ يسوع يسير في طريق أورشليم، ويجب الذهاب معه بقيادة الروح القدس، على مثال تلميذَي عمّاوس اللذين سارا مع يسوع. وبكلمات أُخَر، يجب دائمًا السير في الطريق الذي سار يسوع فيه: فإنّ يسوع ذهب إلى أورشليم عن محبّة ولكي يُسلِّم نفسه من أجلنا حتّى الصليب. فإن أردنا نحن أيضًا أن نعيش في الطريق وأن نعيش روحانيّةً، وجب أن نسير في طريق المحبّة وبذل النفس حتّى الصليب، على مثال يسوع، ولكن برفقة يسوع ويعيش ذلك السير في الأخوّة، لأنّنا، كما ورد في إنجيل لوقا في حادثة عمّاوس، نكتشف الربّ عند كسر الخبز، في ساعة المحبّة الملموسة والفعّالة.

٥ - الصلاة: لوقا هو إنجيليّ الصلاة. يجب أن نصلّي دائمًا ولا نملّ، ويقول لوقا هذا لأنّه يخاطب جماعة مُتعَبَة. ولذلك يُبرز صلاة يسوع، في الصمت والعزلة وفي الحياة الرسوليّة على السواء، وهو، بصلاته هذه، يساعدنا على أن نفهم أنّ الصلاة المسيحيّة وعطيّة الروح القدس هما ما يقدّرانّنا على مواجهة الأوضاع الجديدة. وإن قارنّا لو ١١/١٣ بـ متّى ٧/١١، نرى الفرق. فإنّ لوقا يقول: «إنّ

الله يهب روحه القدس للذين يسألونه»، ولا يهب «العطايا الصالحة»، كما ورد في متّى.

٦ - الفرح: إنّه فرح غير سطحيّ، يمكن أن يُعاش في وسط المشاكل والصعوبات. إنجيل لوقا هو إنجيل الفرح، ففيه يبدو جميع الناس مرتّلين أو شعراء: يظهرون ويرنّمون نشيدًا ويسجّدون الله وينصرفون. وفي سفر أعمال الرسل، يعرض لنا لوقا، في الفصلَين الثاني والرابع، أحوال الجماعة المسيحيّة الأولى ويشير علينا بأن نمارس عناصر الجماعة المسيحيّة، إن أردنا أن نلبّي متطلّبات الربّ: «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل» (رسل ٢/ ٤٢)، أي على الإيمان المشترك والمشاركة الأخويّة وكسر الخبز والصلوات. وتلك العناصر الموسومة بالكمال المثاليّ، لا بدّ من عيشها بواقعيّة، وهذا ما يشدّد عليه لوقا، بعد أن قال إنّ الجماعة كان لها قلب واحد ونفس واحدة، وإنّ كلّ شيء كان مشتركًا بينهم، ذكر قضيّة حنانيا الذي باع مِلكًا له واقتطع قسمًا من الثمن، وذكر بعد ذلك تذمّر اليهود اليلّينيّين على العبرانيّين، لأنّ أراملهم كُنَّ يُهمَلنَ في توزيع الأرزاق اليوميّة إلخ.

أظنّ أنّنا نجد في تلك النقاط الستّ الخطوط العريضة التي نحتاج إليها لكي نفهم كيف يجب أن تكون الروحانيّة المغذّية حياتنا المكرَّسة التي كثيرًا ما تكون مُتعَبة ومرهَقة أمام ربيع بشَّر به المجمع الڤاتيكانيّ الثاني ولا نرى مجيئه أو نضوجه. فهناك تتقدُّم أفراد العمل الرسوليّ في السنّ والنقص في عدد الدعوات إلخ.

الخاتمة

نستطيع أن نختم بأنّ الروح القدس هو روح نشط على مرّ عصور التاريخ، لا فقط حين منح مؤسّسينا ومؤسّساتنا تلك الموهبة اللدنيّة التي ورثناها والتي يجب علينا أن نستثمرها، بل على الدوام، لأنّه روح حاضر دائمًا. هذا وأنّ عصرنا هو أيضًا عصر الروح القدس. فعلينا ألّا ننسى أربع

أمانات كبرى تذكّر بها وثيقة «الحياة المكرّسة»، وسبق أن شرحتها وثيقة «أداة العمل» بمزيد من التوسّع. ففي الرقم ١١٠ من «الحياة المكرّسة»، بعد التأكيد أنّ علينا أن ننظر إلى المستقبل، وردت هذه العبارة: «كونوا مستعدّين، أمناء للمسيح والكنيسة وجميّتكم الرهبانيّة وإنسان زمننا».

+ الأمانة قبل كلّ شيء للمسيح وللإنجيل، للرقم ١١١ من وثيقة «أداة العمل»: «إنّ المسيح الربّ وعريس الكنيسة، سيّد الأشخاص المكرّسين ومخلّصهم، هو الغاية الأولى والأخيرة لحياتهم ورسالتهم، إنجيل وجودهم ومصدره ومقياسه وفرحه».

+ الأمانة للكنيسة ورسالتها في العالم: «من الأشخاص المكرّسين، يُطلَب العطاء والتزام «الشعور مع الكنيسة»، وعيش الخدمة الرسوليّة والمشاركة الكنسيّة، والتطابق مع الرسالة المنفتحة على حاجات عالمنا في هذه الأيّام من التاريخ».

+ الأمانة للحياة المكرّسة وللموهبة اللدنيّة الخاصّة بالجمعيّة الرهبانيّة: «إنّ هذه الوحدة التي لا تنحلّ والتي هي عمل الروح القدس، يُطلَب من الحياة المكرّسة أن تتطابق معها في هويّتها ومشاركتها ورسالتها، وفي الأمانة لعناصرها الجوهريّة، في بهاء تنوّع المواهب اللدنيّة الروحيّة والرسوليّة الخاصّة بمؤسّسيه».

+ الأمانة للإنسان ولزمننا: «بما أنّ الأشخاص المكرّسين هم شهود الله في العالم، فإنّهم مدعوّون إلى تلك الأمانة الدينامية التي تكتشف، عبر المشاهدة، وجه الربّ وحاجات رجال ونساء زمننا، وسبل الخلاص عبر مواهب الإنجيل اللدنيّة التي زرعها الروح القدس».

لهذا السبب، لا يمكن أن تكون الخاتمة إلّا دعوة إلى الرجاء، إلى رجاء ليس هو تفاؤلًا عقيمًا، لأنّه يستند إلى رأفة الله وأمانته، إلى رجاء ليس هو عدم نشاط، لأنّ الرجاء أيضًا يُلزمنا وينادينا.

أعتقد أنّ أفضل خلاصة لما فكّرنا فيه حتّى الآن قد يكون ثلاثة

نصوص كتابيّة.

+ النصّ الأوّل هو من العهد القديم: حز ٣٧، نصّ العظام اليابسة: «وكانت عليّ يد الربّ، فأخرجني بروح الربّ، ووضعني في وسط السهل وهو ممتلئ عظامًا، وأمرّني عليها من حولها، فإذا هي كثيرة جدًّا على وجه السهل، وإذا بها يابسة جدًّا. فقال لي: «يا ابن الإنسان، أترى تحيا هذه العظام؟» فقلتُ: «أيّها السيّد الربّ، أنت تعلم». فقال لي: «تنبّأ على هذه العظام وقل لها: أيّتها العظام اليابسة، اسمعي كلمة الربّ. هكذا قال السيّد الربّ لهذه العظام: هاءنذا أُدخل فيك روحًا فتحيَين. أجعل عليك عصبًا وأُنشئ عليك لحمًا وأبسط عليك جلدًا وأجعل فيك روحًا فتحيَين وتعلمين أنّي أنا الربّ». والآيات التالية تصف كيف تمّ كلّ ذلك.

+ النصّ الثاني: روم ٥/٣-٥: «نفتخر بشدائدنا نفسها، لعلمنا أنّ الشدّة تلد الثبات، والثبات يلد فضيلة الاختبار، وفضيلة الاختبار تلد الرجاء، والرجاء لا يخيّب صاحبه، لأنّ محبّة الله أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي وُهب لنا».

+ وأخيرًا، نصّ نجده في روم ١٥/١٣: يتوجّه فيه بولس، بعد أن شرح العديد من الأمور، إلى أهل رومة ويقول لهم: «ليغمركم إله الرجاء بالفرح والسلام في الإيمان، لتفيض نفوسكم رجاءً بقوّة الروح القدس».

نحن إذًا شهود رجاء في عالم اليوم، واعينَ أنّ عصرنا، على غرار سائر العصور، هو عصر زمن من عصور الروح القدس وأزمته. فلنعرف كيف نصغي إلى صوت الأجيال الطالعة، ولنعرف كيف نسلّم القِيَم الأساسيّة الخاصّة بموهبة جمعيّاتنا الرهبانيّة، ولنعرف في آن واحد كيف نكون منفتحين على السبل الجديدة التي يفتحها لنا الروح القدس، وعلى مناداته علامات الأزمنة.

نقله إلى العربيّة
الأب صبحي حموي اليسوعيّ

صدر حديثًا عن دار المشرق